ABES13

**أحاديث الأذكار والأدعية 09 - حديث: لا يقعد قوم يذكرون الله عز وجل إلا حفتهم الملائكة..**

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله؛ صلى الله وسلَّم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد:

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَأَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنهما أَنَّـهُمـا شَهِدَا عَلَى النبيِّ أنهُ قَالَ: ((لَا يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللهَ إِلَّا حَفَّتْهُمُ الْـمَـلَائِكَةُ، وَغَشِيَـتْـهُمُ الرَّحْـمَـةُ، وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَـةُ، وَذَكَـرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ**))**رواه مسلم .

وروى مسلم عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ((وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلاَّ نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ الْمَلاَئِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ، وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ**)) .**

جاء هذا الحديث في بعض رواياته مقيدًا بأن يكون هذا الذكر في بيتٍ من بيوت الله، وفي بعضها مُطلقا دون تقييد؛ فأفاد ذلك أن الجلوس لذكر الله وتعلم العلم سواءً كان في بيتٍ من بيوت الله أو في أي مكانٍ آخر ينال العبد به هذا الفضل، لكن ما من شكٍّ أن كون ذلك في المسجد أكمل وأعظم وأعلى شأنًا وأرفع منزلةً، لكن يُرجى لمن حصل منه ذلك في غير المسجد أن ينال هذه الفضيلة، كما يدل لذلك هذه الرواية التي جاءت مطلقة غير مقيدة بالمسجد. قال النووي :: «وَيُلْحَق بِالْمَسْجِدِ فِي تَحْصِيل هَذِهِ الْفَضِيلَة الِاجْتِمَاع فِي مَدْرَسَة وَرِبَاط وَنَحْوهمَا إِنْ شَاءَ اللَّه تَعَالَى، وَيَدُلّ عَلَيْهِ الْحَدِيث الَّذِي بَعْده فَإِنَّهُ مُطْلَق يَتَنَاوَل جَمِيع الْمَوَاضِع، وَيَكُون التَّقْيِيد فِي الْحَدِيث الْأَوَّل خَرَجَ عَلَى الْغَالِب، لَا سِيَّمَا فِي ذَلِكَ الزَّمَان، فَلَا يَكُون لَهُ مَفْهُوم يُعْمَل بِهِ» اهـ :.

وفي الحديث الأول قال: ((لَا يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللَّهَ))، وفي الثاني قال: ((يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ))؛ إذا جُمع بين اللفظتين أفاد فائدة مهمة عظيمة وهي: أن ذكر الله لا ينحصر في التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير! بل الجلوس للعلم، ومدارسة القرآن والسُّنة، والتفقه في الدين، وتعليم شرع الله إخبارًا عنه سبحانه بأنَّه أمر بكذا أو نهى عن كذا، وأحبّ كذا، وسخط كذا، ورضي كذا؛ فكلُّ هذا من ذكر الله تبارك وتعالى.

وفي الحديث قال عليه الصلاة والسلام: ((إِذَا مَرَرْتُم بِرِيَاضِ الجَنَّةِ فَارْتَعُوا)) قالوا: وما رياض الجنة؟ قال: ((حِلَقِ الذِّكْر))، والمراد بحلق الذكر: أي مجالس العلم؛ مجالس الحلال والحرام، وبيان الأحكام، وبيان شرع الله جل وعلا. ولهذا فإنَّ مجالس العلم التي يبيَّن فيها الحلال والحرام، وتوضّح فيها الأحكام مجالس ذكرٍ لله. قال عطاء الخرساني: «مجالس الذِّكر مجالس الحلال والحرام، كيف تشتري وتبيع، وتصلي وتصوم، وتنكح وتطلّق وتحجّ وأشباه هذا». وكان أحد السلف وهو أبو السُّوَار العدوي في حلقة يتذاكرون العلم ومعهم فتى شاب فقال لهم: قولوا: سبحان الله والحمد لله، فغضب أبو السُّوار وقال: «ويحك في أيِّ شيء كنّا إذًا».

الحاصل أن مجالس الذكر ليست مختصّة بالمجالس التي يُذكر فيها اسم الرّبّ بالتسبيح والتحميد والتكبير ونحو ذلك، بل هي شاملةٌ للمجالس التي يُذكر فيها أمره ونهيه وحلاله وحرامه، وما يحبّه ويرضاه، وما يكرهه ويأباه، بل ربَّما كان هذا الذكر أنفع من ذلك.

قوله: ((إِلَّا حَفَّتْهُمُ المَلَائِكَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَنَزَلَتْ عليهمِ السَّكِينَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَن عِنْدَهُ))؛ عدَّد -صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ- أربعة فضائل عظيمة تُنال في مجالس الذكر، كل واحدة منها من أعظم ما يكون، ينالها العبد ويحظى بها إذا جلس في مجلس ذكرٍ لله تعالى .

الأولى: ((حَفَّتْهُمُ المَلَائِكَةُ))؛ أي تحفهم ملائكة الرحمة بأجنحتها كما جاء في الحديث الآخر: ((مَنْ سَلَكَ طَريقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ علْمًا سَهَّلَ اللَّه لَهُ طَرِيقًا إِلَى الجَنَّةِ، وَإنَّ المَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أجْنِحَتَهَا لِطِالِبَ الْعِلْمِ رِضًا بِمَا يَصْنَعُ))، فالملائكة تحفُّ طالب العلم من حين يخرج من بيته قاصدًا مكان العلم لطلبه، وتحفُّه وهو في مجلس العلم. هذا وإن لم نر الملائكة يحفون مجالس العلم بأجنحتهم إلا أنَّا نؤمن بذلك إيمانًا جازمًا لا شك فيه ولا ريب ؛ لأن هذا الخبر جاءنا عن الصادق المصدوق صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ.

قوله: ((وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ))؛ أي تغشاهم رحمة الله وتنزل عليهم، وهذا يدل على أن من أعظم الأمور التي تُطلب بها الرحمة وتُنال بها: الجلوسَ في مجالس العلم وحِلق الذكر التي تحيا بها القلوب، ويقوى بها الإيمان، ويزيد بها اليقين، وتعظم بها الصلة بالله تبارك وتعالى.

قوله: ((وَنَزَلَتْ عليهمِ السَّكِينَةُ))؛ أي يحصل لهم في مجالس العلم ومجالس الذكر طمأنينة في القلوب، وكثير ما يتحدث الناس بهذا؛ تجد أحدهم يقول: "عندي من الهم والقلق والمشاكل الشيء العظيم! فإذا دخلت المسجد وجلست في حلقة العلم أشعر بلذة وطمأنينة وسكون، وكأن ما عندي أصلًا قلق"، وهذا كله من الفضائل المباركة التي ينالها العبد في مجالس العلم. بينما مجالس الغفلة كالغيبة والنميمة ونحو ذلك من المجالس السيئة إذا قام منها العبد يقوم منها بوحشة في قلبه، وقلق، واضطراب، وضيق صدر. والعاقل إذا وازن بين هذه الخيرات العظيمة التي تُنال في مجالس الذكر وتلك الأضرار التي تترتب على مجالس الغفلة؛ فإنه لا يبغي بدلًا عن مجالس الذكر ؛ مجالس العلم والإيمان، بل سيكون حرصه عليها أشد ما يكون.

قوله: ((وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَن عِنْدَهُ))؛ أي ذكرهم الله في الملأ الأعلى ، وفي الحديث يقول الله : ((فَإن ذَكرَني في نَفْسِهِ، ذَكَرْتُهُ في نَفسِي، ومن ذَكَرَني في مَلإٍ، ذكَرتُهُ في مَلإٍ خَيْرٍ منْهُمْ)) متفق عليه، وروى مسلم عَنْ أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِىِّ قَالَ خَرَجَ مُعَاوِيَةُ عَلَى حَلْقَةٍ فِى الْمَسْجِدِ فَقَالَ مَا أَجْلَسَكُمْ؟ قَالُوا جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللَّهَ، قَالَ: آللَّهِ مَا أَجْلَسَكُمْ إِلاَّ ذَاكَ؟ قَالُوا وَاللَّهِ مَا أَجْلَسَنَا إِلاَّ ذَاكَ. قَالَ أَمَا إِني لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ، وَمَا كَانَ أَحَدٌ بِمَنْزِلَتِي مِنْ رَسُولِ اللَّهِ أَقَلَّ عَنْهُ حَدِيثًا مِنِّي، وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ خَرَجَ عَلَى حَلْقَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ: ((مَا أَجْلَسَكُمْ؟)) قَالُوا: «جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللَّهَ وَنَحْمَدُهُ عَلَى مَا هَدَانَا لِلإِسْلاَمِ وَمَنَّ بِهِ عَلَيْنَا» قَالَ: ((آللَّهِ مَا أَجْلَسَكُمْ إِلاَّ ذَاكَ؟)) قَالُوا: «وَاللَّهِ مَا أَجْلَسَنَا إِلاَّ ذَاكَ»، قَالَ: ((أَمَا إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ وَلَكِنَّهُ أَتَانِي جِبْرِيلُ فَأَخْبَرَنِي أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُبَاهِى بِكُمُ الْمَلاَئِكَةَ)).

ومما ورد في فضل الذكر ما رواه مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: كَانَ رَسُولُ الله يَسِيرُ فِي طَرِيقِ مَكَّةَ فَمَرَّ عَلَى جَبَلٍ يُقالُ لَهُ «جُمْدَانُ» فَقَالَ: ((سِيرُوا ؛ هَذَا جُـمْـدَانُ، سَبَقَ الْمـُفَرِّدُونَ)). قالُوا: وَمَا الْـمُفَرِّدُونَ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: «الذَّاكِرُونَ اللهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتُ»؛ أي: إن المُفرِّدين هم أهل السَبق، وكأن الحديث يُصوِّر العاملين في ميدان سباق يتسابقون ويتنافسون في هذا الميدان، ويُبين أن أسبقهم في هذا الميدان المفرِّدون، فهم أهل السبق في ميدان التنافس في طاعة الله ، قال الصحابة : «وما المفرِّدون يا رسول الله؟» أي ما صفتهم وما هي أعمالهم؟ قال عليه الصلاة والسلام: ((الذَّاكِرُونَ اللهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ))؛ فالحديث يدل على فضل الذكر، وأن أهل العناية به وأهل الرعاية له هم أهل السبْق في ميدان التسابق في التقرب إلى الله تبارك وتعالى بالأعمال الصالحة.

فمن فوائد الذكر العظيمة كما يقول ابن القيم:: «أن الذكر يسيِّر العبد وهو في فراشه وفي سوقه وفي حال صحته وسقمه وفي حال نعيمه ولذته، وليس شيء يعم الأوقات والأحوال مثله، حتى يسيِّر العبد وهو نائم على فراشه فيسبق القائم مع الغفلة ، فيصبح هذا وقد قطع الركب وهو مستلقٍ على فراشه، ويصبح ذلك الغافل في ساقة الركب، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء».

وإذا كان السائرون الى الله بالأعمال المتنوعة يزدادون بأعمالهم الصالحة قربا من الله فإن الذاكر لله بالكثرة هو السباق في هذا المضمار و له السبق في هذا الميدان؛ لعلو شأن الذكر وعظيم شأنه ومحبه الله للذاكرين الله والذاكرات ، ولأنه ليس في الأعمال شيء يعم الأوقات والأحوال مثله ، فالذكر مع المرء في جلوسه وفي سفره وفي حله وترحاله وفي مرضه وفي ضرائه وسرائه وفي شدته ورخائه وفي كل أحواله .

وقد سئل شيخ الإسلام ابن تيمية : عن أفضل الأعمال بعد الفرائض؟ فأجاب بأنه «يختلف باختلاف الناس فيما يقدرون عليه وما يناسب أوقاتهم، فلا يمكن فيه جوابٌ جامع مفصل لكل أحد ، لكن مما هو كالإجماع بين العلماء بالله وأمره؛ أن ملازمة ذكر الله دائما هو أفضل ما شغل العبد به نفسه في الجملة، وعلى ذلك دل حديث أبي هريرة الذي رواه مسلم ((سبق المفردون قالوا يا رسول الله ومن المفردون؟ قال الذاكرون الله كثيرا والذاكرات)) ، وفيما رواه أبو داود عن أبي الدرداء عن النبي أنه قال: ((ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من اعطاء الذهب الورق ومن أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟ قالوا بلى يا رسول الله قال: ((ذكر الله)). والدلائل القرآنية والايمانية بصرًا وخبرًا ونظرًا على ذلك كثيرة، وأقل ذلك أن يلازم العبد الأذكار المأثورة عن معلم الخير وامام المتقين؛ كالأذكار المؤقتة في أول النهار وآخره، وعند أخذ المضجع، وعند الاستيقاظ من المنام، وأدبار الصلوات، والأذكار المقيدة مثل: ما يقال عند الأكل، والشرب، واللباس، والجماع، ودخول المنزل والمسجد والخلاء والخروج من ذلك، وعند المطر والرعد إلى غير ذلك، وقد صُنفت له الكتب المسماة بـعمل اليوم والليلة». اهـ :.

هذا وأسأل الله أن يوفقنا أجمعين لكل خير، وأن يصلح لنا شأننا كله، إنه تبارك وتعالى سميع الدعاء وهو أهل الرجاء وهو حسبنا ونعم الوكيل.

وصلى الله وسلَّم على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .